جهود ابن المعتز في تحسين الأسلوب الأدبي

للأستاذ الدكتور
السيد مرسي أبو ذكري

مكانة ابن المعتز :

عاش عبد الله بن المعتز ٢٤٧ ـ ٢٩٦ هـ ، فى ظل خلافة أبيه فترة نعم فيها بحياة لاهية عابثة ، وصفها أبو الفرج ـ على بن الحسين بن محمد ـ الأصفهانى المتوفى ٣٥٦ هـ بقوله : « فى ميادين من النور والبنفسج والنرجس ... وفاخر الفرش ، ومختار الآلات ، ورقة الخدم » (١) . وفى فترة رجولته بعد عن اللهو والعبث ، ودأب على تحصيل العلم والأدب ، وتفرغ للتأليف والتدوين .

يحتل ابن المعتز مكانة مرموقة فى تاريخنا الأدبى ، قال عنه ابن خلكان ـ شمس الدين أحمد ـ البرمكى المتوفى ٦٨١ هـ : « كان أديبا بليغا شاعرا مطبوعا ، مقتدرا على الشعر ، قريب المأخذ ، سهل اللفظ ، جيد القريحة ، حسن الابداع للمعانى ، مخاطبا للعلماء والأدباء معدودا فى جملتهم » (٢) .

يعد ابن المعتز على رأس الطبقة الخامسة من الشعراء المحدثين ، منهم الناشىء الأكبر ـ عبد الله بن محمد ـ المتوفى ٢٩٣ هـ ، وابن طباطبا ـ محمد بن أحمد العلوى ـ المتوفى ٣٢٢ هـ وغيرهما . وهى طبقة تجمع بين مذهب أبى تمام ـ حبيب بن أوس ـ الطائى المتوفى ٢٣١ هـ

---

(١) راجع : الأغانى ج ٩ ص ١٣٣ ، أبو الفرج الأصفهانى . طبعة بولاق ١٢٨٥ هـ .

(٢) راجع : وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٦٣ ، ابن خلكان ، تحقيق محمد محيى الدين ، طبعة ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م .

وأبى عبادة ـ الوليد بن عبد الله ـ البحترى المتوفى ٢٨٤ هـ ، أى يتعمق شعراء هذه الطبقة فى المعانى والأفكار الحديثة والثقافات العامة كأبى تمام وابن الرومى وغيرهما ، وفى نفس الوقت تحافظ على عذوبة الأسلوب وجماله ، وتوشيته بآثار الصنعة فى اعتدال كالبحترى وغيره . ولذا وضعه كثير من النقاد مع أبى تمام والبحترى فى طبقة واحدة (٣) .

خلف ابن المعتز آثارا أدبية عديدة ، تشهد بكثرة اطلاعه ، وسعة ثقافته ، وتؤكد براعته فى التأليف والتدوين ، حتى قال عنه أبو بكر ـ محمد بن يحيى ـ الصولى المتوفى ٣٣٦/٣٥ هـ : « ... واسع الفكر ، كثير الحفظ والعلم ، يحسن فى النظم والنثر ، ومن شعراء بنى هاشم المتقدمين وعلمائهم ، و من نشأ فى الرواية والسماع ، يكثر فى مجلسه من حدثنا وأخبرنا » (٤) .

ألم ابن المعتز بشىء من الثقافات الأجنبية المترجمة فى عصره ، فقد تتلمذ على أبى الحسن ـ تلميذ الكندى ـ المتوفى ٢٨٢ هـ ، بجانب ما فى كتابه « فصول التماثيل » من تأثره بالثقافة اليونانية المترجمة ، حيث ضمنه نصوصا منقولة عن أهل الحكمة والأطباء ، مثل « جالينوس ١٣١ ـ ٢٠١ م » الطبيب اليونانى ، كما نجد أثر الفارسية فى كتابه « الفصول القصار » . مما أتاح له أن يحتل مكانة مرموقة فى عالم الأدب ودولة القريض ، ويتبوأ منزلة سامية فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى .

---

(٣) الطبقة : كل جماعة عاشوا فى أزمان متقاربة ، وجرت عليهم احكام واحدة ، وانهم قريبون من بعض فى منزلتهم الأدبية العامة ، وان اختلفوا فى اتجاهاتهم الفنية وانتاجهم الأدبى .

(٤) راجع : الأوراق ص ١٠٧ ، محمد بن يحيى الصولى ، الطبعة الأولى .

عصر ابن المعتز :

شهد عصر المحدثين ١٣٢ - ٣٩٩ هـ ، ظهور ألوان من الصنعة ، تشيع فى الأساليب ، من استعارة وتشبيه ، وجناس ومطابقة ، ومقابلة وحسن تعليل ، وغيرها من الألوان التى تفنن الشعراء فيها ، ووشوا شعرهم بها ، لما فيها من ترف الفن ، وجمال الصنعة ، وسحر الأداء .

وهو عصر جديد فى كل شىء ، كثر الأدباء والنقاد فيه ، وبرز خلاله العديد من المفكرين والفلاسفة والمؤلفين ، وسيطر فيه أبو تمام - حبيب بن أوس - الطائى المتوفى ٢٣١ هـ على مدرسة الشعر ، واستأثر أبو عثمان - عمرو بن بحر - الجاحظ المتوفى ٢٥٥ هـ بمدرسة النثر .

والمعروف أن ابن المعتز ، عاش فى العصر العباسى الثانى ٢٣٢ - ٣٣٤ هـ ، وهو عصر نهضت فيه العلوم والفنون ، وظهرت آثارها ناضجة بعد ترجمة آثار الأمم الأجنبية ، مما أدى الى تلوين الشعر بلون جديد ، ولم يبق من آثار البداوة فيه ، سوى قدر من المحافظة على جمال الأسلوب وروعة البيان .

وبجانب هذا جدت ظواهر تتصل بالأدب ، وتتعلق بالنقد ، أهمها العصبية بين العرب والفرس ، وشيوع حياة اللهو والمجون ، وانتشار الغنى والفقر ، والأخذ بأسباب المدنية والحضارة ، وكثرة الزندقة والزنادقة ، وظهور تيارات فكرية ، دعت الى التحرر فى البحث ، وسيادة حرية الرأى ، وترديد دعوات التجديد .

وصاحب تعدد الأجناس فى المجتمع العباسى ، ظهور اتجاهات جديدة فى الأدب والنقد ، حيث ثار بعض الشعراء على افتتاح القصائد ، ببكاء الديار الدارسة مما يجافى الحضارة ، وطالبوا باعادة النظر فى بناء القصيدة ووحدة موضوعها ، من أمثال بشار بن برد المتوفى ١٦٧ هـ ،

ومنهم أبو نواس ـ الحسن بن هانىء ـ المتوفى ١٩٨ هـ ، وطالب غيرهما بتجديد الصياغة ، والعناية بألوان البديع ، كمسلم بن الوليد المتوفى ٢٠٨ هـ ، وكلثوم بن عمرو العتابى المتوفى ٢٢٠ هـ ، وغيرهم ممن أكثروا من ألوان البديع وتكلفوا صناعته .

وجاء أبو تمام ـ حبيب بن أوس ـ الطائى المتوفى ٢٣١ هـ ، فجاهر بالتجديد فى الصياغة ، واتخذ البديع مذهبا ـ قاده الى الاغراب فى مألوف المعانى ، ورأى أنصاره كأبى عثمان ـ عمرو بن محمد ـ الجاحظ المتوفى ٢٥٥ هـ ، وعبد الله بن قتيبة بن مسلم ـ المتوفى ٢٧٦ هـ ، وغيرهما ، أنه فاق القدماء فى طريقة التعبير عن المعانى ، واعتبروه ممثلا للطريقة الجديدة خير تمثيل .

ورأى غيرهم كأبى عمرو بن العلاء المتوفى ١٥٤ هـ ، ويونس بن النحوى المتوفى ١٨٢ هـ ، وأبى العباس ـ محمد بن يزيد ـ المبرد المتوفى ٢٨٥ هـ ، فى معاصره أبى عبادة ـ الوليد بن عبد الله ـ البحترى المتوفى ٢٨٤ هـ ، محافظته على تقاليد الشعر العربى ، وحرصه على مألوف صناعته ، وتمسكه بعمود الشعر ، فالتفوا حوله واعتبروه ممثلا للطريقة القديمة خير تمثيل .

ومن هنا برز فى المحيط الأدبى مذهبان فى الشعر : أحدهما مذهب المحدثين أو الجديد أو أصحاب ـ مذهب ـ البديع ، ويمثله أبو تمام ومن على شاكلته ، وثانيهما مذهب القدماء أو أصحاب عمود الشعر أو أنصار القديم ، ويمثله البحترى ومن لف لفه ، وسار على نهجه ودربه .

وبانتهاء القرن الثانى الهجرى ، انتهت الخصومة بين أنصار الشعر القديم ، وبين أنصار الشعر الجديد ، بانتصار الاتجاه الأخير . وعلى أثر ذلك بدأت خصومة ـ أخرى ـ بين الشعراء الذين تبسطوا فى القول ، وبين الذين تفننوا فى صناعته ، فأكثروا من أنواع البديع ، وضروب التصنع ، وألوان الزخرف .

جهود ابن المعتز :

يعتبر ابن المعتز مؤسس النقد البلاغى ، حيث حول أكثر الألوان البلاغية ، التى تجول فى خواطر الشعراء ، أو المشتتة فى مظان كتب الأدب والنقد ، الى فن قائم بذاته ، له قواعد راسخة ، وعمد ثابتة ، واستند فيما اهتدى اليه لأمثلة وشواهد ، يسهل على الأدباء فهمهـــا وادراك حقيقتها .

طرق ابن المعتز ثلاثة ميادين حقق بها ما أراد ، من الكشف عن وجوه تحسين الأسلوب الأدبى ومزاياه فى الأداء . فألف كتابه « البديع » ٢٧٤ هـ ، دعا الأدباء خلاله ألا يسرفوا فى ألوان البديع ، وبه حـــدد خصائص التيار البيانى الذى آثره الشعراء المحدثون ، وغالى بعضهم فيه كابى نواس وأبى تمام .

ثم كشف فى رسالة عن وجوه الحسن وأسباب القبح فى شـــعر أبى تمام ، فحدد معالم المقاييس التى تحقق جودة القول ، وبها تجاوز تيار النقد البيانى ، الى الجمع بين التيارات الثلاثة : البيانى والأدبى والتاريخى ، التى سادت مجتمعه الأدبى ، فتحول النقد من الناحية النظرية الى الناحية التطبيقية .

ونبه فى ٢٨٠ هـ على محاسن شعراء عصره ، وقيد فضائلهم فى كتابه « طبقات الشعراء المحدثين » ، حتى شاعت أشعارهم على ألسنة الخاصة والعامة على السواء ، وضمنه حوالى احدى وثلاثين ومائة ترجمة لشعراء وشاعرات ، وذكر بعض صور من أشعارهم ، وأبدى رأيه فيها ، ووضح خلاله التزامهم بمنهجه أو خروجهم عنه .

فأتاح لمعاصريه من الأدباء الاستفادة من وجوه تحسين الأسلوب ، واحتذاها لاحقوه ، حتى أضحت عناصر لجمال العمل الأدبى ، مهما كان نوعه ولونه ، ومهد بها الطريق لكثير من العلماء المتأخرين ، فى

استخلاص فنون تعين على تحسين المعانى والأفكار ، وتبرز جمـــال الألفاظ والأساليب .

وسنخص كل ميدان بذل ابن المعتز جهوده فيه بحديث خاص ، لنكشف النقاب عن الأسس والمقاييس ، التى تحقق تحسين الأســلوب الأدبى ، وتحدد مزايا الأداء ، فى مختلف فنون القول ، فالى الصفحات التالية .

أولا : كتاب البديع :

كان البديع قبل ابن المعتز يعنى الجديد والمحــدث ، والمخترع واللطيف ، وهو لون من ألوان التعبير الأدبى ، انبثق من طبيعة الأدب القديم ـ شعره ونثره ـ يجود الخاطر به ، ويستدعيه المقام ، ويطلبه المعنى دون تكلف ، ومن غير معرفة لمسمياتها وأقسامها .

وجاء أبو عثمان ـ عمرو بن بحر ـ الجاحظ ١٦٠ ـ ٢٥٥ هـ ، فردد لفظ « البديع » فى معرض النقد ، فقال : « .. البديع مقصور على العرب ، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة ، وأربت على كل لسان ، والراعى ـ ت ١٩٠ هـ ـ كثير البديع فى شعره ، وبشار حسن البديع ، والعتابى ـ ت ٢٢٠ هـ ـ يذهب شعره فى البديع » (٥) .

تبعته محاولات متفرقة ، تناولت بعض فنون البديع ، فى « تأويل مشكل القرآن » لعبد الله بن مسلم بن قتيبة ٢١٣ ـ ٢٧٦ هـ ، و « الكامل فى اللغة والأدب » لأبى العباس ـ محمد بن يزيد ـ المبرد ٢١٠ ـ ٢٨٥هـ و « قواعد الشعر » لأبى العباس ـ أحمد بن يحيى ـ ثعلب ٢٠٠ ـ ٢٩١ هـ ، وهى محاولات تفتقد التنسيق ، وحسن التبويب ، أغلبهـــا أحاديث لا تجمعها رابطة .

---

(٥) راجع : البيان والتبيين ، ج ٣ ص ٣٤٧ ، طبعة الاستقامة ١٣٦٦ هـ ـ ١٩٤٧ م .

ثم شاعت ألوان البديع على ألسنة شعراء بن العباس ، واقتصد بعضهم فى أدائها ، وبالغ غيرهم فى صناعتها ، مما أدى الى وجود اتجاهين مختلفين فى المحيط الأدبى ، طالب أحدهما باعادة النظر فى بناء القصيدة ، وتجديد الصياغة ، وايثار الصناعة البديعية ، وحافظ ثانيهما على القديم فى منهجه واتجاهه وطرائق تعبيره .

وجاء ابن المعتز فآثر مذهب المحدثين ، وسار عليه فى نظم شعره، وناضل ضد مذهب القدماء بتأليف كتابه « البديع » أثبت خلاله أن ألوان البديع ليست غريبة على الشعر الجاهلى والاسلامى ، ولا هى جديدة فى شعر المحدثين ، ولا هى مستحدثة فى الأدب - شعره ونثره - فاستحق تقدير المنصفين من القدماء .

واستهدف ابن المعتز من تأليف كتابه أولا : نفى مزاعم المحدثين أن البديع من ابتداعهم ، وأثبت أنه قديم فى آثار العرب ، وأراد به ثانيا : أن بشارا وغيره لم يسبقوا اليه . وضمن مقدمته سبب تأليفه ، فقال : « .. قد قدمنا فى أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدناه فى القرآن الكريم واللغة وأحاديث رسول الله وكلام الصحابة ، والأعراب وغيرهم ، وأشعار المتقدمين من الكلام الذى سماه المحدثون البديع ، ليعلم أن بشارا ، ومسلما وأبا نواس ، ومن تقيلهم - أشبههم - وسلك سبيلهم ، لم يسبقوا الى هذا الفن ، ولكنه كثير فى أشعارهم ، فعرف فى زمانهم حتى سمى بهذا الاسم ، فأعرب عنه ودل عليه ، ثم ان حبيب بن أوس الطائى من بعدهم ، قد شغف به حتى غلب عليه ، وتفرغ فيه وأكثر منه ، فأحسن فى بعض وأساء فى بعض ، وتلك عقبى الافراط ، وثمرة الاسراف » (٦)

مفهوم البديع :

ظل لفظ « البيان » يشمل كل ما يتصل بفنون القول ، على اختلاف صوره من شعر ونثر ، حتى عصر أبى عثمان - عمرو بن بحر -

---

(٦) راجع : البديع ص ١ ، تحقيق كراتشوفسكى ، طبعة ١٩٣٥ .

الجاحظ المتوفى ٢٥٥ هـ ، كما شمل مسائل بلاغية شتى ، أريد بها فى العصور الأولى : الفصاحة مرة ، والبلاغة أخرى ، والخطابة ثالثة ، والبديع رابعة . وتحت لفظ « البيان » بحثت قضايا بلاغية وثيقة الصلة به .

وجاء عبد الله بن المعتز فحدد مدلول البديع بقوله : « البديع اسم موضوع لفنون الشعر التى يذكرها الشعراء والنقاد المتأدبين منهم ، فأما العلماء باللغة والشعر القديم ، فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو » (٧) .

وتوسع ابن المعتز فى مدلول البديع ، فضمنه ألوانا من علم البيان كالتشبيه والاستعارة والكناية ، وغيرها من صور التعبير التى لها رونق وبهاء فى الكلام .

وبذا كان كتاب « البديع » أول محاولة ، فى سبيل استقلال فن البديع وتحديد مباحثه ، تلقفها العلماء من بعده ، وأضافوا اليها ما استكملوا به مباحثه وقضاياه . ومن أجل هذا قال ابن المعتز : « لعل بعض من قصر عن السبق الى تأليف هذا الكتاب ، ستحدثه نفسه وتمنيه مشاركتنا فى فضيلته ، فيسمى فنا من فنون البديع بغير ما سميناه ، أو يزيد فى الباب من أبوابه كلاما منثورا ، أو يفسر شعرا لم نفسره ، أو يذكرا شعرا قد تركناه ولم نذكره ، اما لأن بعض ذلك لم يبلغ فى الباب مبلغ غيره فألفيناه ، أو لأن فيما ذكرناه كافيا ومغنيا . وليس من كتاب الا وهذا ممكن فيه لمن أراده » (٨) .

أدى تحديد معنى ـ مذهب ـ البديع على يد ابن المعتز ، وتوضيح خصائص التيار البيانى الذى ـ بالغ البعض فيه ـ انتهجه الشعراء المحدثون ، الى وضع منهج فى النقد الأدبى ، تجاوز الدراسة

---

(٧) راجع : البديع ص ٥٧ ـ ٥٨ ؛ تحقيق كراتشوفسكى ، طبعة ١٩٣٥

(٨) راجع : البديع ص ٢ ـ ٣ ، تحقيق كراتشوفكسكى ، طبعة ١٩٣٥

النظرية ، الى الاهتمام بالدراسة التطبيقية ، وايمان جميع النقاد - أنصار القديم والجديد - بالاستشهاد بالشعر القديم ، واتخاذ مقاييسهم من تقاليده ، وقبول المعانى الجديدة ، وان اختلفوا فى طريقة التعبير عن المعنى القديم ، ومتى يحكم بجوازه أو عدمه ، وبأى يكون انحطاطه وتفوقه .

من هنا كانت أهمية كتاب « البديع » فى تاريخ النقد الأدبى ، وتأثيره الواضح على نشاط النقاد من بعده ، على نحو ما نرى فى « أخبار أبى تمام » لأبى بكر - محمد بن يحيى - الصولى المتوفى ٣٣٥ هـ ، و « الموازنة بين أبى تمام والبحترى » لأبى القاسم - الحسن بن بشر - الأمدى المتوفى ٣٧١ هـ ، و « الوساطة بين المتنبى وخصومه » للقاضى - على بن عبد العزيز - الجرجانى المتوفى ٣٩٢ هـ وغيرهم .

مضمون كتاب البديع :

كان كتاب « البديع » أول محاولة علمية جادة ، فى تدوين أبواب البديع ، بعد أن كانت منثورة فى الكتب قبله ، دون أن يحيط بكل ألوان البديع ، لذا قال ابن المعتز : « ونحن الآن نذكر بعض محاسن الكلام والشعر ، ومحاسنها كثيرة لا ينبغى للعالم أن يدعى الاحاطة بها » (٩). وانما ضمنه ما شاع فى عصره وقبل عصره من ألوان ، واقتصر على المشهور منها .

أقام ابن المعتز كتابه على تنظيم دقيق ، تتجلى خلاله براعته الفنية ، حيث قسمه الى قسمين ، سمى أولهما : « البديع » وأدرج تحته خمسة أبواب ، يحمل كل باب عنوان أحد فنون البديع ، وحصرها فى خمسة فنون هى : الاستعارة ، والتجنيس ، والمطابقة ، ورد اعجاز الكلام على ما تقدمها ، والمذهب الكلامى ، وأشار اليها بقوله : « قد قدمنا أبواب البديع الخمسة ، وكمل عندنا ، وكأنى بالمعاند المغرم

---

(٩) راجع : المصدر السابق ص ٥٨ .

بالاعتراض على الفضائل قد قال البديع أكثر من هذا ، وقال : البديع باب أو بابان من أبوان الفنون الخمسة التى قدمناها » (١٠) .

ويلاحظ أن هذه الوسائل الخمس هى مميزات « البديع » الذى أخذه أبو تمام عن وعى ، واتخذه مدرسة لصناعة ألوانه ، وكانت هذه الأنواع بارزة فى أشعار المحدثين ، وحولها دار الجدل بين أنصـــار القديم ، وأنصار الجديد .

وسمى ابن المعتز ثانيهما « محاسن الكلام » ، وأورد منها ثلاثة عشر لونا هى : الالتفات ، والاعتراض ، والرجوع ، وحسن الخروج ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وتجاهل العارف ، وهزل يراد به جد ، وحسن التضمين ، والتعريض والكناية ، والافراط فى الصفة ، وحسن التشبيه ، واعنات ـ تعب ـ الشاعر نفسه فى القـــوافى ، وحسن الابتـــداء .

والى القسم الثانى أشار ابن المعتز بقوله : ونحن الآن نذكر بعض محاسن الكلام والشعر ، ومحاسنها كثيرة ، لا ينبغى للعالم أن يدعى الاحاطة به ، حتى يتبرأ من شذوذ بعضها عن علمه وذكره » (١١) ولم تكن ألوان ـ الثلاثة عشر ـ هذا القسم ، موضع جدل أو انكار . وقد اهتدى ابن المعتز اليها ، ووقف عليها ، خلال تتبعه أشعار القدامى والمحدثين ، وسماها قبل اصطلاح البلاغيين عليها ، ولذا نراه يفصـل بين القسمين ـ البديع ومحاسن الكلام ـ بقوله : « هذا لكم وهذا لى ، وهذا منكم وهذا منى » (١٢) .

---

(١٠) راجع : البديع ص ٥٧ ، تحقيق كراتشوفسكى طبعة ١٩٣٥ .
(١١) راجع : البديع ص ٥٨ عبد الله بن المعتز ، تحقيق كراتشوفسكى طبعة ١٩٣٥ .
(١٢) راجع : بلاغة ارسطو بين العرب واليونان ص ١٣٤ ، د . ابراهيم سلامة ، الأنجلو المصرية ١٩٧١ .

ولعل سر ادراج ابن المعتز بعض الألوان تحت مسمى « البديع » ، وباقيها تحت مسمى « محاسن الكلام » ، أنه قصد بمسمى الخمسة الأولى « الابتكار » ، اشتقاقا من كلمة « الابداع » مصدرا لأبدع . وقصد بمسمى الثلاثة عشر الثانية (الحسن والجمال) . والمعروف أن الحسن والجمال أقل قيمة من الابداع . وحين تناول المتأخرون ألوان البديع فى كتبهم ، لم يفرقوا بين مسمى النوعين ، ودرسوا مختلف الألوان تحت مسمى واحد هو « البديع » .

وحرص ابن المعتز طوال كتابه على ذكر فنون البديع ومحسنات الكلام ، وتعريف ما أمكن منها ، وأورد لها أنسب الشواهد ـ حوالى ٣١٢ ـ من القرآن الكريم والحديث النبوى ، وأشعار المتقدمين ، وكلام الصحابة والأعراب ، ويختم بأمثلة من أشعار المحدثين ، كى تبرز فكرته عن البديع ، وتتضح رؤيته لألوانه . يلى ذلك ذكر المعيب من ألوان البديع ، دون ذكر أسباب الحسن أو القبح ، مكتفيا بتذوقه الخاص وأثرها على نفسه ، حتى يحول القارىء الى ناقد ، ويصبح موضوع كتابه نقدا .

وبذا أقام ابن المعتز كتابه على منهج تنظيمى دقيق ، يعتمد على تنسيق موضوعاته ، وترتيب أبوابه ، وحسن اختيار النصوص والشواهد ، واستنتاج المقاييس على أساس من التذوق السليم ، ولعل أبرز ما يميزه عن محاولات سابقيه ، يتمثل فى طابعه الفنى ومنحاه التطبيقى .

وسائل تحسين الأسلوب :

حصر ابن المعتز وسائل تحسين الأسلوب الأدبى ، فى كتابه « البديع » ، وقصرها على خمسة أنواع هى : الاستعارة ، والتجنيس ، والطباق ، ورد العجز على الصدر ، والمذهب الكلامى . وهى مميزات البديع ـ المذهب الجديد ـ الذى أصبح أبو تمام ـ حبيب بن أوس ـ الطائى المتوفى ٢٣١ هـ ، امام صناعته فى عصره .

وبذا ميز مذهب البديع ، بخصائص أصبحت مبادىء معروفة ومحددة فى اصطلاحات ، كانت حدثا جديدا فى القرن الثالث الهجرى ، له أهميته وتأثيره فى النقد والنقاد - من بعده - وأجج الخصومة بين أنصار القديم والجديد . وها هى الوسائل الخمس التى اعتبرها ابن المعتز خصائص الصياغة الجديدة .

١ - الاستعارة :

تعد الاستعارة عنصرا أصيلا فى الأسلوب . تناول أرسطو ٣٨٤ - ٣٢٢ ق . م الحديث عنها فى أكثر من موضع بكتابه « الخطابة » ، وأحال كل ما كتبه عنها الى كتابه « الشعر » (١٣) . ذكر علاقة التشبيه بالاستعارة ، فقال : « التشبيه استعارة ، وذلك أنه قليل الاختلاف عنها ، فعندما يقول الشاعر عن رجل « انطلق كالأسد » يكون هذا تشبيها - وأما عندما يقول « انطلق هذا الأسد » فيكون هذا استعارة » . وفى موضع آخر يقول : « شرحنا فى الشعر - كما قلنا - قيمة كل هذه الاصطلاحات ، وفصلنا أنواع الاستعارة ، وقلنا انها أهم شىء فى الشعر والنثر » . وحدد الاستعارة بأنها « نقل اسم شىء الى غيره » (١٤) .

وعرفها ابن المعتز فقال : « استعارة الكلمة لشىء يعرف بها من شىء قد عرف بها » (١٥) . وهو تعريف لا يختلف كثيرا عن تعريف أرسطو لها . والمعروف أن ابن المعتز ألف كتابه ٢٧٤ هـ ، وأن معاصره حنين بن اسحق المتوفى ٢٩٦ هـ ، ترجم كتاب « الخطابة » لأرسطو ، وهذا يعنى أن كتاب أرسطو عرفه العرب .

---

(١٣) راجع : الشعر جـ ٣ باب ٢ وباب ٤ ، تحقيق شكرى محمد عياد ، طبعة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

(١٤) راجع : المصدر السابق .

(١٥) راجع : البديع ص ٢ - ٢٤ ، عبد الله بن المعتز ، تحقيق كراتشوفسكى ، طبعة ١٩٣٥ .

مثل ابن المعتز لها بشواهد كثيرة ، من القرآن بقوله تعالى « واشتعل الرأس شيبا » مريم : ٤ . ومن الحديث النبوى بقوله عليه السلام : « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله ، كلما سمع هيعة طار اليها » ، ومن الشعر القديم يقول امرىء القيس :

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف اعجازا وناء بكلكل

وبعد ذلك ذكر المعيب من الاستعارة ، واستشهد بقول الطائى :

فضربت الشتاء فى أخدعيه ضربة غادرته عودا ركوبا

أراد بذكر المعيب أن يتجنب الأديب كل ما يستهجن من فنون القول، وألوان الكلام .

٢ ـ التجنيس :

عرفه ابن المعتز بقوله : « هو أن تجىء الكلمة تجانس أخرى ، فى بيت شعر أو كلام ، ومجانستها له أن تشبهها فى تأليف حروفها على السبيل الذى ألفه الأصمعى كتاب الأجناس عليها » (١٦) . ومثل له من القرآن الكريم بقوله تعالى : « وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » النحل : ٤٤ . وبقوله عليه السلام : « الظلم ظلمات » ، وبقول مسلم بن الوليد :

يا صاح ان أخاك الصب مهموم فارفق به ان لؤم العاشق اللوم

وسار على نهجه بالتمثيل من كلام القدماء والمحدثين ، ثم يذكر أمثلة للمعيب فى نهاية حديثه . ويبدو أن ضابط الجناس كان معروفا ، لدى

---

(١٦) راجع : البديع ص ٢٥ ـ ٣٦ ، تحقيق كراتشوفسكى ، طبعة ١٩٣٥ .

الأدباء والنقاد قبل ابن المعتز ، فقد عرفه الأصمعى ـ عبد الملك بن قريب ـ المتوفى ٢١٦ هـ فى كتابه « الأجناس » ، وأستاذه أحمد بن يحيى بن ثعلب المتوفى ٢٩١ هـ فى كتابه « قواعد الشعر » ، بخلاف ما ذهب اليه بعض الباحثين من القدامى والمحدثين (١٧) .

٣ ـ المطابقـــــة :

ذكر ابن المعتز قول الخليل أحمد ١٠٠ ـ ١٧٠ هـ فى تعريف المطابقة : « طابقت بين الشيئين اذا جعلتهما على حذو واحد » (١٨) ، وسرد الشواهد على نحو محكم فى اختياره ، ويدل على سلامة ذوقه ، فقد اختار ـ مثلا ـ بيتين للبحترى من قصيدته فى وصف بركة المتوكل وهما :

اذا دعتها الصبا أبدت لنا حبكا ... مثل الجواشن مصقولا حواشيهـا
فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها ... وريق الغيث أحيانا يباكيهـــا

ثم نبه على المعيب منها فى الكلام ، وأورد قول الأخطل :

قلت المقام وناعب قال النـــوى ... فعصيت أمرى والمطاع غراب

وعلق عليه قائلا : « وهذا من غث الكلام وبارده » . هـــذا وقد وردت « المطابقة » عند الجاحظ بمعنى اصابة الكلام الغـــرض المسوق له (١٩) . وعند ثعلب باسم مجاورة الأضداد (٢٠) . وعنـــد قدامة بن جعفر باسم التكافؤ (٢١) .

---

(١٧) راجع : المصدر السابق ص ٣٦ .
(١٨) راجع : البديع ص ٤٤ ، عبد الله بن المعتز ، تحقيـــق كراتشوفسكى ، طبعة ١٩٣٥ .
(١٩) راجع : البيان والتبيين ، ج ١ ص ٨٧ ـ ٨٩ .
(٢٠) راجع : قواعد الشعر ص ٦٢ . أبو العباس تعلب ، تحقيق محمد خفاجى ، طبعة ١٩٤٨ .
(٢١) راجع : نقد الشعر ص ٨٥ ، قدامة بن جعفر ، طبعـــة الخانجى ١٩٤٨ .

٤ ـ رد اعجاز الكلام على ما تقدمها :

يبدو أن هذا المصطلح من استنتاج ابن المعتز ، حيث لم يرد فى محاولات سابقيه . ولم يذكر ابن المعتز تعريفا له ، وانما اكتفى بتقسيمه الى ثلاثة أقسام ، واستشهد لكل قسم بما يلائمه من الأمثلة والشواهد (٢٢) .

ومثل له من القرآن الكريم بقوله تعالى : « أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ، وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا » الاسراء : ٢١ . ونبه ـ كعادته ـ على المعيب من هذا النوع فى الكلام ، وذكر قول أبى نواس البجلى :

يتيمنى برق المباسم بالحمى ولا بارق الا الكريم يتيمه

وعقب عليه بقوله : « وهذا قد جمع على غثاثته ما بين من بديع الكلام ، وهما هذا الباب وباب الاستعارة » (٢٣) . هذا وقد عرف المتأخرون هذا اللون البديعى باسم « رد اعجاز الكلام على الصدور » .

٥ ـ المذهب الكلامى :

عده ابن المعتز أحد فنون البديع الخمسة ، التى بنى القسم الأول من كتابه عليها ، واعترف بأن أبا عثمان ـ عمرو بن بحر ـ الجاحظ المتوفى ٢٥٥ هـ هو الذى سماه ، وأشار الى أنه ينسب الى التكلف ، فقال : « هو مذهب سماه عمرو الجاحظ المذهب الكلامى ، وهذا باب

---

(٢٢) راجع : البديع ص ٤٧ ـ ٥٣ ، تحقيق كراتشوفسكى ، طبعة ١٩٣٥ .

(٢٣) راجع : المصدر السابق ص ٥٣ .

ما أعلم أنى وجدت فى القرآن منه شيئا ، وهو ينسب الى التكلف ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا » (٢٤) .

لم يحاول ابن المعتز تحديد مفهوم هذا اللون ، وكل ما فعله أنه مثل بطائفة من الأمثلة ، منها قول أبى الدرداء « انى أخوف ما أخاف عليكم أن يقال علمت فماذا عملت » ، وبقول الفرزدق :

لكل امرىء نفسان نفس كريمة وأخرى يعاصيها الفتى ويطيعها
ونفسك من نفسيك تشفع للندى اذا قال من أحرارهن شفيعها

ويبدو أن الجاحظ وابن المعتز أراد بالمذهب الكلامى ، الجدل العقلى الذى يعتمد المتكلمون عليه ، فى الاستدلال على صحة دعواهم بحجج قاطعة . ومما يؤيد هذا قول أبى عثمان ـ عمرو بن بحر ـ الجاحظ المتوفى ٢٥٥ هـ فى معرض المعرفة والاستدلال : « لولا استعمال المعرفة لما كان للمعرفة معنى ، كما أنه لولا الاستدلال لما كان لوضع الدلالة معنى ... وللعقل فى خلال ذلك مجال ، وللرأى تقلب ، وتنشر للخواطر أسباب ، ويتهيأ لصواب الرأى أبواب » (٢٥) .

ومجال هذا اللون الحجاج والجدل ، وعند البحث عن العلل ، وابراز الدقة فى المفارقات ، وعند توليد الأفكار ، كقول عمر بن الخطاب لعبد الله بن عباس : « من ترى أن نوليه حمصا ؟ . قال : رجلا صحيحا لك . قال : كن أنت ذلك الرجل . قال : لا ينتفع بى مع سوء ظنى فى سوء ظنك بى » (٢٦) .

---

(٢٤) راجع : البديع ص ٥٣ ـ ٥٧ . تحقيق كراتشوفسكى ، طبعة ١٩٣٥ .

(٢٥) راجع : الحيوان ج ٢ ص ١١٥ ـ ١١٦ ، أبو عثمان الجاحظ ، طبعة الحلبى ١٣٠٦ هـ .

(٢٦) راجع : قضايا ودراسات نقدية ص ١٠٩ ، د . عبد العزيز محمد الفيصل ، طبعة الحلبى ١٩٧٩ .

بهذا - وغيره - فطن ابن المعتز ، الى مميزات الأسلوب الأدبى وخواصه ، واهتدى الى طريقة تحليل ظواهرها ، واستدل عليهـــا بأمثلة من كتاب الله وسنة رسوله ، وشعر المتقدمين والمتأخرين . وفى الامكان ادماج المميزات الخمس فى ثلاثة أنواع هى :

أ - الاســـتعارة :

هى عنصر أصيل فى مختلف فنون القول ، وبخاصة فى الشـــعر حيث هى لبابه وجوهره . ولهذا عنى البلاغيون بها ، وألحقوها بمباحث علم البيان .

ب - الجناس والطباق ورد الاعجاز على ما تقدمها .

هى من طرق أداء القول ، وتتعلق فى أغلب الأحيان بشكل الشعر لا بجوهره . وهى التى سماها البلاغيون - فيما بعد - محسنات لفظية ، واهتموا بتفصيل أنواعها فى باب البديع ، عندما أصبح علما مستقلا ، وفنا قائما بذاته .

جـ - المذهب العقلى .

هو نوع من الجدل العقلى ، يلجأ المتكلمون اليه عند الحجاج والجدل ، من أجل توليد المعانى فى القول ، وابراز المفارقات فى الكلام ، والكشف عن العلل بطريقة عقلية .

أثر كتاب البديع فى تحسين الأسلوب :

ضمن ابن المعتز ما استخلصه من وسائل تحسين الأسلوب ، من ثنايا القصائد والخطب ومأثور الكلام ، فمهد لمن جاء بعده استخلاص فنون لا حصر لها ، فى تجميل الأساليب والمعانى ، دون التنبيه على ما هو أصيل لا غنى عنه ، للعبارة أو الصورة الأدبية أو المعنى الشعرى ، والى ما هو كمالى تتم الصورة بدونه ، من غير نقص فى مبناها أو اختلال فى معناها .

فالتشبيه والاستعارة والكناية ، وسائل لا غنى للعمل الأدبى عنها ، كانت - ولا زالت - ميدان التسابق بين الأدباء ، وموضع التفضيل عند النقاد ، ودرج الجميع على القول بأن هذا التشبيه أجود من ذلك ، وأن هذه الاستعارة جيدة عن تلك . ولا يلجأ الأديب الى الكناية ، حيث يكون التصريح بمراده منقصة ، فيتخلص بالرمز فيما يكره ذكره .

ولم يعجب ابن المعتز بكل ما اهتدى اليه ، فما أحس فيه قبحا نبه عليه ، فتراه ينبه على ما لا يتذوقه من استعارات ، للبعد بين المستعار له والمستعار منه ، كقول الشاعر :

كلوا الصبر غضا واشربوه فانكم أثرتم بعير الظلم والظلم بارك
متى يأتيك المقدار لا تك هالكا ولكن زمان غال مثلك هالك

دون ذكر سبب استقباحه ، ولعله أراد التعبير عن احتمال الصبر بالتواكل ، أو تشبيهه بطعام ردىء ، فيه بعد المستعار له عن المستعار منه . وأساس الاستعارة التقارب بينهما حتى يسهل مزجهما ، دون تباين وتنافر ، أو اعراض أحدهما عن الآخر .

فكان التنبيه على نقد الاستعارة ، أول محاولة فى تاريخ النقد العربى ، تصاحب عملية تحديد مصطلحات البديع ، أضحى النقد - بعدها - يقوم على أساس يتعمق الناقد فيه - ويغوص وراء المعنى ، ويجد فى البحث عن الفكرة ، ويعلل أسباب الحسن أو القبح فى تأديتها .

من هنا كان لقياس الأدب بالمقياس البديعى ، أثره فى دفع الأدباء لحصر ألوان البديع ، والمبالغة فى استخدام فنونه ، حتى اصطبغ الأدب - شعره ونثره - بصبغة البديع ، وظلوا قرونا لا يستجيدون الكلام الا اذا تضمن ألوانا من التحسين البديعى .

وحسب كتاب البديع لابن المعتز أنه أول مؤلف ، نبه لمزايا تجميل الصناعة جملة ، دون تكليف أدباء عصره - أو غيرهم - أن يثقلوا

قصائدهم أو خطبهم أو رسائلهم بألوان البديع ، على نحو ما فعل غلاته ، ممن فسدت أذواقهم ، وانحدم الأدب على أيديهم الى مهادى الضعف والركة .

وعليه اعتمد العلماء - بعده - فى تحديد معالم البديع ، وتوالت مؤلفات امتزجت البلاغة فيها بالنقد ، واعتبرت المصطلحات البلاغية ، مقاييس ينقد الأدب على أساسها ، جودة أو رداءة ، منذ « نقد الشعر » لقدامة بن جعفر - ت ٣٣٧ هـ - فى القرن الرابع الهجرى ، حتى « المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر » لضياء الدين بن الأثير - ت ٦٣٧ هـ - فى القرن السابع الهجرى .

ومن ثم كان كتاب البديع ، يمثل مرحلة انتقالية ، تحول النقد فيها من طور نقد الألفاظ والمعانى ، الى طور نقد الصورة الأدبية ، وتحديد مدى التوفيق والخطأ فى الأداء - وبذا احتل مكانة هامة فى تاريخ النقد الأدبى ، مما جعل المستشرق النمسوى الأصل ، الأمريكى العيش « غوستاف فون غرنباوم ١٩٠٩ - ١٩٧٢ يصفه بقوله : « انه محاولة فريدة لارساء أصول البلاغة العربية على أسس عربية صحيحة » (٢٧) .

ثانيا : رسالة فى شعر أبى تمام .

لم يعن كثير من القدماء بها ، ولم يكشف واحد منهم النقاب عن اسمها الحقيقى ، لكن أشار أبو الفرج - قدامة بن جعفر - ٢٦٥ - ٣٣٧ هـ ، فى كتابه الذى يه على ما عابه ابن المعتز على أبى تمام (٢٨) وذكرها محمد بن عمران بن موسى المرزبانى المتوفى ٣٨٤ هـ ، فى

---

(٢٧) راجع : دراسات فى الأدب العربى ص ١٠٠ ، ترجمة : احسان عباس وغيره ، بيروت ١٩٦٢ .

(٢٨) راجع : معجم الأدباء ج ٧ ص ١٣ ياقوت الحموى ، طبعة دار المأمون .

كتابه « الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء » ، وشغلت الصفحات من ٣٠٧ حتى ٣١٩ .

وفى العصر الحديث عنى محمد عبد المنعم خفـــاجى بتراث ابن المعتز ، فجمع رسائله وطبعها تحت مسمى « رسائل ابن المعتز فى النقد والأدب والتاريخ » ، وشغلت رسالته فى أبى تمام الصفحات من ١٩ حتى ٣١ ، وطبعت لأول مرة ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م . ثم فصلها عن باقى الرسائل ، وأفردها بالشرح والتعليق ونشرها مفردة ١٩٥٨ .

ولما كان أبو تمام ـ حبيب بن أوس ـ الطائى المتوفى ٢٣١ هـ ، شغف بالبديع وأسرف فيه ، والتفف حوله جماعة تعصبوا له تعصبا ، تجاوزوا فيه حدود الاعتدال ، اتجه ابن المعتز الى كشف النقاب عما فى شعر أبى تمام من محاسن ومساوى ، بحيدة وانصاف ، حيث شعره لديه كقوله :

اذا كان وجهك لى تترى محاسنه فان فعلك بى تترى مساويه (٢٩)

وطوف ابن المعتز فى مختلف نواحى شعر أبى تمام ، فنقد معانيه وعباراته ، واستنكر الألفاظ الموحشة ، واستكره الغريب البدوى ، ونفر من البديع المقيت ، ونبه على الاستعارة الكريهة . وســـنشير الى تلك النواحى فى وجازة دالة .

١ ـ سوء استعمال الصور البلاغية :

عاب ابن المعتز على أبى تمام عدم تطبيقه لمذهبه على نحو مستقيم حيث أساء استعمال الصور البلاغية فى شعره ، وأنكر عليه العـــديد من قوله مثل :

لعمرى لقد حررت يوم لقيته لو أن القضاء وحده لم يبرد (٣٠)

---

(٢٩) راجع : ديوان أبى تمام ص ٤٦٨ .
(٣٠) راجع : المصدر السابق ص ١٠٠ .

وعلق قائلا : « فلم تخرج ها هنا المطابقة - « حررت ... يبرد » - خروجا حسنا ، ولا تحسن فى كل شىء » (٣١) .

وعاب عليه الاستعارة فى قوله :

لو لم ندارك مسن المجد مذ زمن بالجود والبأس كان المجد قد خرقا (٣٢)

ووصفها فى قوله : « مسن المجد » من البديع المقيت » (٣٣) أى المكروه ، لما فيها من البعد بين المستعار له وهو « المجد » ، والمستعار منه وهو « الانسان » .

وعاب جناسه المتكلف فى « مذهب .. و مذهب » فى قوله :

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت فيه الظنون : أمذهب أم مذهب (٣٤)

ثم قال : « يريد غلبت على مذهبه السماحة ، فكان فيها مذهبان - أى عادة - يظنه بعض الناس » (٣٥) . أو أنه ظن من كثرة احسانه أنه مذهب العقل أى فاقده . وفى هذا اساءة للممدوح الذى أراد الاحسان اليه .

أراد ابن المعتز من نقد هذه الصور وغيرها ، بيان أن أبا تمام وأنصاره لم يلتزموا بطريقته فى الصياغة على نحو مستقيم ، وطالبهم بالاعتدال فى استعمال الصور البلاغية ، ووضع كل منها فى مكانها ،

---

(٣١) راجع : رسائل ابن المعتز ص ١٩ ، جمع محمد عبد المنعم خفاجى ، طبعة ١٩٤٦ .

(٣٢) راجع : ديوان أبى تمام ص ١٠٤ .

(٣٣) راجع : رسائل ابن المعتز ص ١٩ ، جمع محمد عبد المنعم خفاجى ، طبعة ١٩٤٦ .

(٣٤) راجع : ديوان ابى تمام ص ٣٩ .

(٣٥) راجع : رسائل ابن المعتز ص ٢١ ، جمع محمد عبد المنعم خفاجى ، طبعة ١٩٤٦ .

حتى تجيء مقبولة ، وتؤدى الى حسن التصوير ، وتبعث خيال القارىء على نحو مثير .

٢ ـ ايثار وحشى الألفاظ :

أخذ ابن المعتز على أبى تمام استعماله الألفاظ الوحشية المستكرهة، التى لا تتآلف مع المعانى المرادة ، كقوله فى هزيمـــــة بابك ومدح الأفشين :

ولى ولم يظلم وما ظلم امرؤ حث النجاء وخلفه التنين (٣٦)

وعلق عليه قائلا : « فلو كان أجهد نفسه فى هجاء الأفشين ، هل كان يزيد على أن يسميه التنين ؟ وما سمعت أحدا من الشعراء شبه به ممدوحا بشجاعة ولا غيرها » (٣٧) .

وعاب عليه قوله :

اذا فقد المفقود من آل مالك تقطع قلبى رحمة للمكارم (٣٨)

وعلق قائلا : « وهذا قد عيب قبلنا ، وقالوا : تقطع رحمة للمكارم ، من كلام المخنثين . وقد كان الناس قبلنا ينكرون على الشاعر أقل من هذه المعايب » (٣٩) .

وعاب قوله :

بنى أمية انى ناصح لكم فلا يبيتن فيكم آمنا زفر (٤٠)

---

(٣٦) راجع : ديوان أبى تمام ص ٣٢٧ .
(٣٧) راجع : رسائل ابن المعتز ص ٢٠ ، جمع محمد عبد المنعم خفاجى ، طبعة ١٩٤٦ .
(٣٨) راجع : ديوان أبى تمام ص ٣٨٤ .
(٣٩) راجع : رسائل ابن المعتز ص ٢١ ، جمع محمد عبد المنعم خفاجى ، طبعة ١٩٤٦ .
(٤٠) راجع : ديوان أبى تمام ص ١ ، زفر بن الحارث بن كلب الكلابى .

ثم قال : « فعظم قدر عدوه ومن يهجوه حتى خوف الخليفة منه » (٤١) . وكذلك قوله :

قد كنت أحسب قينا وأنبؤه فاليوم طير عن أثوابه الشرر (٤٢)

وعلق قائلا : « فأراد أن يمدحه فهجاه ، فكيف نجيز للمحدثين ـ مع تصفحهم لأشعار الأوائل وعلمهم بها ـ مثل هذا الجنون ؟ » (٤٣).

٣ ـ استعمال الغريب :

استنكر ابن المعتز على أبى تمام استعماله للألفاظ التى تحتاج الى شرح وتفسير ، فى زمن غابت عن أذهان أبنائه مثل هذه الألفاظ . وذكر العديد منها كقوله :

كان فى الأجفلى وفى النقرى عر فك نضر العموم نضر الوحاد (٤٤)

وعلق قائلا : « يقال : « دعاهم الجفلى » اذا دعاهم كلهم فأجفلوا ، ويقال : « دعاهم النقرى » اذا دعاهم واحدا واحدا ، وهو من الكلام البغيض ، والغريب المستكره البدوى ، فكيف به اذا جاء من ابن قرية متأدب » (٤٥) .

---

(٤١) راجع : رسائل ابن المعتز ص ٢١ ، جمع محمد عبد المنعم خفاجى ، طبعة ١٩٤٦ .

(٤٢) راجع : ديوان أبى تمام ص ٢٢٣ ، القين : الحداد وهو لقب عمرو بن أسد .

(٤٣) راجع : رسائل ابن المعتز ص ٢١ ، جمع محمد عبد المنعم خفاجى ، طبعة ١٩٤٦ .

(٤٤) راجع : ديوان أبى تمام ص ٧٦ .

(٤٥) راجع : رسائل ابن المعتز ص ٢٠ ، جمع محمد عبد المنعم خفاجى ، طبعة ١٩٤٦ .

ومن الغريب المستبشع وصفه للوحش والظباء ، فى قوله :

واذا مشى يمشى الدفقى أو سرى وصل السرى أو سار سار وجيفا (٤٦)

الدفقى : مشية سريعة . وفى قوله :

وقد سد مندوحة القاصعا ء منهم وأمسك بالنافقاء (٤٧)

وأتبعه بقوله : « القاصعاء : حجر اليربوع الأول الذى يدخل فيه . والنافقاء : موضع يرققه من حجر ، فاذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء ففتحه . ولم نعب من هذه الألفاظ شيئا ، غير أنها من الغريب المصدود عنه . وليس يحسن من المحدثين استعمالها لأنها لا تجاور بأمثالها ، ولا تتبع أشكالها ، فكأنها تشكو الغربة فى كلامهم . ألا ترون بعد قوله :

قرب الحيا وانهل ذاك البارق والحاجة العشراء بعدك فارق (٤٨)

وبهذا وغيره كشف عن سوء استعمال أبى تمام للغريب الوحشى من الألفاظ ، الذى لا يليق بشاعر حضرى أن يلجأ اليه ، مراعاة للأحوال والمقامات .

٤ ـ تكلف القول :

أنكر ابن المعتز تكلف أبى تمام لبعض الكلمات فى شعره ، مما يضعف أداؤه ، ولا يسمو به الى مدارج الكمال ، فمما ينسب الى التكلف قوله :

---

(٤٦) راجع : ديوانى ابى تمام ص ٢٠٧ .
(٤٧) راجع : المصدر السابق ص ٣٤٨ .
(٤٨) راجع : رسائل ابن المعتز ص ٢٣ ، جمع محمد عبد المنعم خفاجى ، طبعة ١٩٤٦ .

مستسلم لله سائس أمة بذوى تجهضمنـــا له استسلام (٤٩)

وعلق قائلا : « تجهضم الفحل اذا علا أقرانه ، وبعير جهضم الجنبين أى رحبهما ، ففى هذا البيت كما ترى تبغض وتكلف » (٥٠) . وعلق على بيته القائل :

فان صريح الحزم والرأى لامرىء اذا بلغته الشمس أن يتحولا (٥١)

بقوله : « وليس هذا بشىء ، ربما استطاب الناس التحول الى الشمس ، وانما أخذه من كلام العامة « اذا بلغتك الشمس فتحول » (٥٢)

وقال أبو تمام :

لا تنشجن لها فان بكاءها ضحك وان بكاءك اســـتغرام

وعلق ابن المعتز عليه بقوله : « يقال : نشج الباكى اذا غص بالبكاء والحمار ينشج ، والطعنة تنشج عند خروج الدم مع نفخ ، والقدر تنشج عند الغليان » (٥٣) . وقال أبو تمام :

ويوم أفاض جوى أغاض تعزيا خاض الهوى بحرى حجاه المزيد

ثم علق ابن المعتز قائلا : « وهذا من الكلام الذى يستعاذ بالصمت من أمثاله » (٥٤) .

---

(٤٩) راجع : ديوان أبى تمام ص ٢٨٠ ، الذوى : النعاج الصغار . تجهضمها : تعظيمها .

(٥٠) راجع : رسائل ابن المعتز ص ٢٦ ، جمع محمد عبد المنعم خفاجى ، طبعة ١٩٤٦ .

(٥١) راجع : ديوان أبى تمام ص ٢٥٤ .

(٥٢) راجع : رسائل ابن المعتز ص ٢٦ .

(٥٣) راجع : رسائل ابن المعتز ص ٢٦ ، جمع محمد عبد المنعم خفاجى ، طبعة ١٩٤٦ .

(٥٤) راجع : المصدر السابق ٢٧ .

وهكذا عدد ابن المعتز بعض معايب شعر أبى تمام ، التى يترتب عليها سوء الفهم ، وضعف القول ، وتقود الى الاضطراب فى الكلام ، وتوقع القارىء فى حيرة ، وتؤدى الى الانصراف عن متابعته .

أثر الرسالة فى الكلام :

رسالة ابن المعتز فى شعر أبى تمام وثيقة نقدية ، تدور حول العيوب والمثالب ، دون المزايا والمحاسن ، رغم ما يحمله عنوانها من مضمونهما معا . ولعله أراد بذكر القليل ليعرف ويتجنب مثله ، وما عداه يكون من محاسن القول ومزايا الكلام .

أشار خلالها الى مختلف نواحى النقد التى تتناول كل جهات العمل الأدبى ، فقد عاب على أبى تام عدم التزامه بتطبيق مذهبه فى الصياغة ، وطالبه وأنصاره بالاعتدال فى استخدام صور البلاغة ، ووضع كل صورة فى مكانها المناسب ، حتى تتواءم مع جاراتها ، فيحسن التصوير ، ويجمل التعبير ، وتثير خيال المتلقين .

ومن ثم حمل الأدباء على تجنب الألفاظ المستكرهة ، وايثار ما يأتلف مع معانيها ، مع البعد عن الغريب الذى لا يليق بالتحضر ، وينافى ما تعارف المجتمع عليه ، ونبه على أن يأخذ الشاعر من غيره ، من أجل توضيح معنى ، وكشف عن فكرة ، بحيث يخالف المأخوذ منه ويربو عليه .

وبجانب هذا أوما الى التعرف على مواقع الاختيار ، وموضع المطلوب من قول كل قائل ، حتى يسهل تمييز ما فيه من فصاحته عما فيه من اغراب ، وما أخذ بلطف وحذق من غيره ، من أجل تحقيق جودة العمل الأدبى ، والارتقاء به الى مدارج الجمال الفنى .

والرسالة تكشف عن كثرة محصول ابن المعتز ، وسعة ثقافته ، وغزارة علمه ، حيث جعلها بيانا للمآخذ المعنوية ، والسرقات الأدبية

فى تراثنا العربى . فوضع بها أولى الأسس والمقاييس التى بها تتحقق الاجادة فى القول ، والاعجاب بكل ما يقال من فنون الكلام .

ثالثا : طبقات الشعراء المحدثين :

أهم كتاب فى تراثنا الأدبى ، ألفه عبد الله بن المعتز قبل ٢٨٠ هـ وسماه « طبقات الشعراء المتكلمين من الأدباء المتقدمين » (٥٥) ، من أجل انصاف شعراء عصره الذين عاشوا فترة فى عصر بنى أمية ، وامتدت أعمـــارهم الى العصر العبـــاسى ، وهم الذين نعتهم الأدباء بلفظ المحدثين .

جمع ابن المعتز فى كتابه عددا من شعراء عصره ، لم يلتفت اليهم سابقه محمد بن سلام الجمحى المتوفى ٢٣٢ هـ ، فى كتابه « طبقات فحول الشعراء » ، لأنه قصره على شعراء الجاهلية والاسلام . وخالف به نهج معاصره عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى ٢٧٦ هـ ، فى كتابه « الشعر والشعراء » ، حيث لم يلتزم فيه بشعراء عصر بعينه .

الغرض من تأليفه :

حقق ابن المعتز أمرين بتأليف كتابه : أحدهما : حرصه على جمع شعراء المديح فى العصر العباسى ، وبخاصة الذين مدحوا الخلفـــاء العباسيين . ثانيهما : اعجابه بشعراء مذهب البديع ـ وان تحدث عن غيرهم ـ خاصة ، وبشعر المحدثة عامة .

---

(٥٥) راجع : طبقات الشعراء ص ١٨ ، عبد الله بن المعتز ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، طبعة ١٩٨١ ، وقد سماه شراحوه ومحققـــوه « طبقات الشعراء المحدثين » تارة ، وأطلقوا عليه « طبقات الشعراء » تارة أخرى ، وهو الاسم الذى آثره جمهـــور الدارسين ، وعرف به حتى اليوم .

وكشف عن غرضه من تأليف كتابه خلال ترجمته لأبى الشيص - محمد بن عبد الله بن رزين - المتوفى ١٩٦ هـ ، حيث قال : « ولكنا لا نخرج عن شرط الكتاب ، لئلا يمله القارىء ، اذا طال عليه الفن الواحد ، وليحفظ هذه الكتب والنوادر والملح ، وليستريح من أخبار المتقدمين وأشعارهم ، فان هذا شيء قد كثرت رواية الناس له فملوه ، وقد قيل : لكل جديد لذة ، والذى يستعمل فى زماننا انما هو اشعار المحدثين واخبارهم ، فمن ها هنا أخذنا من كل خبر عينه ، ومن كل قلادة حبتها » (٥٦) .

وبهذا كشف عن غايته من تأليف كتابه ، أن ينصف المحدثين - وهو من مشهورهم - فى الشعر ، فجمعهم فى كتاب قيد خلاله فضلهم ، ونبه الى محاسنهم ، ليخلد ذكرهم ، فانصفهم من ناحية ، وجارى الزمن الذى لا يوقف الشعر والشعراء عند وقت من ناحية أخرى ، وبجانب هذا أرضى المتشوقين للأدب والشعراء المحدثين ، حيث تردد ألسنة العامة والخاصة أشعارهم ، لتعبيرها عن حاجاتهم ، ونطقها بأحوالهم ، وتصويرها لآمالهم وآلامهم .

محتوى الكتاب :

جمع ابن المعتز فى كتابه أخبارا ونوادر ، تروى وتنسب لشعراء عاصروه ، أو ماتوا قبل تأليف كتابه بفترة قصيرة ، وعلى الرغم من حشده لعدد كبير من شعراء عصره ، فقد أهمل أكثر من عشرين شاعرا ، منهم ديك الجن - عبد السلام بن رغبان - المتوفى ٢٣٥ هـ ، وأبو الحسن - على بن العباس - ابن الرومن المتوفى ٢٨٣ هـ وغيرهما ، لهجاء الأخير والد ابن المعتز .

جاء الكتاب على غير منهج فى ترتيب الشعراء ، فقد بدأه ابن المعتز بالحديث عن ابراهيم بن على بن هرمة ، ثم ثنى بالحديث عن

---

(٥٦) راجع : المصدر السابق ص ٨٦ .

بشار بن برد ، مع أن الثانى مقدم على الأول ، وتضمن طبقات متنوعة من الشعراء اشتركوا فى مدح خلفاء بنى العباس ويمثلون مدارس الشعر المحدث ، وهى : طبقة شعراء البديع ، وطبقة المجان والموسوسين ، وطبقة شعراء الأعراب ، وطبقة الشعراء المطبوعين ، وطبقة شعراء الحكمة ، وطبقة النساء الشواعر .

ويلاحظ أن عبد الله بن المعتز ، آثر جماعات من الشعراء ، يجمعهم اتجاه متشابه ، وينتظمهم اطار فنى واحد ، وضم كل جماعة متماثلة فى نظم موضوعات الشعر فى طبقة معينة ، فقد جاء فى تقديم محقق الكتاب عن ابن المعتز وكتابه : « وقد أوجز فيما اشتهر فى عهده وقصر اهتمامه على القصائد والأخبار التى انفرد الخاصة بمعرفتها ، ولهذا كان كتابه من أعظم المصادر التى لا يستغنى عنها مؤرخ أو أديب ، ولا نجد فى غيره ما اشتمل عليه . انه أثبت أشعارا تزيد على ألف وخمسمائة بيت لا توجد فى كتاب سواه ، ولهذا كان تقديم ما صحف منها من أعسر الأمور » (٥٧) .

وجاء فى دراسة الأستاذ عباس اقبال عن محتوى الكتاب قوله : « موضوع هذا الكتاب تراجم لأولئك الشعراء المحدثين ، ومنتخبات من أشعارهم ، وقد عاش هؤلاء الشعراء قبل زمن ابن المعتز ، ومدحوا أو اتصلوا بخلفاء بنى العباس ، غير أن بعضهم لم تتح له فرصة المثول بين يدى الخلفاء الا فى شيخوختهم . فى هذا الكتاب يجتهد ابن المعتز ، فى سرد الأخبار والنوادر والفكاهات ـ بصفة خاصة ـ ويجمع من الأشعار ما طبع بذلك الطابع الذى يمثل الشعراء التابعين لخلفاء بنى العباس ووزرائهم وكبار رجالاتهم ، كما يحاول أن يميط اللثام عن العلاقات القائمة بين كل شاعر وممدوحه ، مفصحا عن الأسباب التى أدت الى قول هذا الشعر . أما الأشعار الشائعة ، فان المؤلف اكتفى بالالماع اليها ،

---

(٥٧) راجع : تقديم محقق الكتاب ص ٥ ؛ عبد الستار أحمد فراج ، طبعة المعارف ١٩٨١ .

ولم يتعرض لها الا لماما ، وكان على العكس يقع اختياره على الأشعار النادرة . ولذا تطالعنا فى كتاب الطبقات قصائد طوال لا نعثر عليها فى أى مكان آخر » (٥٨) .

والكتاب ـ فى جملته ـ يضم ألوانا من شعر طائفة من المحدثين ، ويجمع أشتات أخبارهم ، وما تفرق من نوادرهم ، وما لهم من علاقات وصلات ، وبه وضع ابن المعتز اللبنات الأولى ، فى تقسيم الشعراء الى مدارس فنية ، وان لم يفصل الحديث عنها كما فعل بكتابه « البديع » ، بجانب من انفرد به من وصف نثرى رائع لمحاسن أساليب الشعراء المحدثين التى استنبطها ابن المعتز من شعرهم ، وأضحت مميزات الأسلوب الأدبى ، ومن سماته البارزة .

١ ـ شعراء البديع :

عنى ابن المعتز بزعماء المدرسة الحديثة ، وخاصة شعراء مدرسة البديع ، من أمثال بشار بن برد المتوفى ١٦٧ هـ ، وأبو نواس ـ الحسن ابن هانىء ـ المتوفى ١٩٨ هـ ، ومسلم بن الوليد المتوفى ٢٠٨ هـ ، وأبو تمام ـ حبيب بن أوس ـ الطائى المتوفى ٢٣١ هـ ،

وصف ابن المعتز بشار بن برد ، فقال : « كان شاعرا مجيدا مغلقا ظريفا محسنا ، خدم الملوك وحضر مجالس الخلفاء ، وأخذ فوائدهم » (٥٩) . وجعله أستاذ المحدثين ، فقال : « كان مطبوعا جدا لا يتكلف ، وهو أستاذ المحدثين وسيدهم ، ومن لا يقدم عليه ، ولا يجارى فى ميدانه » (٦٠) ، وقارنه بحماد عجرد المتوفى ١٦١ هـ ، فقال :

---

(٥٨) راجع : دراسات عن الكتاب ص ٥٨٥ ، عباس اقبال ، طبعة المعارف ١٩٨١ .

(٥٩) راجع : طبقات الشعراء ص ٢١ ، عبد الله بن المعتز ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، المعارف ١٩٨١ .

(٦٠) راجع : طبقات الشعراء ص ٢٤ ، عبد الله بن المعتز ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، المعارف ١٩٨١ .

« وكان حماد مغلقا مجيدا ، الا أن موضـــعه لم يدان بشـــــارا ولا يقاربه » (٦١) . واستحسن بعض أبيات بشار ، فمن تشبيهاته ـ مع أنه أعمى ـ قوله :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وعلل استحسانه له بقوله : « لاحكام رصفه وحسن وصفه » (٦٢) . كذلك قوله .

يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا

وعلق عليه بقوله : « هذا معنى بديع لم يسبق اليه أحد » (٦٣) .

وأكثر ابن المعتز من ذكر أخبار أبى نواس ونوادره وشعره ، حتى طالت ترجمته عن تراجم الكتاب (٦٤) . ووصفه بقوله : « كان أبو نواس أدب الناس ، وأعرفهم بكل شعر ، وكان مطبوعا لا يستقصى ، ولا يحلل شعره ولا يقوم عليه ، ويقوله على السكر كثيرا . فشعره متفاوت ، لذلك لا يوجد فيه ما هو فى الثريا جودة وحسنا وقوة ، وما هو فى الحضيض ضعفا وركاكة ، وكان مع كثرة أدبه وعلمه خليعا ماجنا ، وفتى شاطرا ، وهو فى جميع ذلك حلو ظريف ، وكان يسحر الناس بظرفه وحلاوته وكثرة ملحه » (٦٥) .

---

(٦١) راجع : المصدر السابق ص ٢٥ .
(٦٢) راجع : المصدر السابق ص ٢٥ .
(٦٣) راجع : طبقات الشعراء ص ٢٩ ، عبد الله بن المعتز ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، المعارف ١٩٨١ .
(٦٤) شغلت ترجمة أبى نواس الصفحات من ١٩٣ حتى ٢١٧ بكتاب طبقات الشعراء لابن المعتز ، طبعة ١٩٨١ .
(٦٥) راجع : طبقات الشعراء ص ١٩٤ ـ ١٩٥ ، عبد الله بن المعتز تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، المعارف ١٩٨١ .

كما استحسن دور مسلم بن الوليد فى مذهب البديع ، فقال : « كان مسلم بن الوليد صريع الغوانى ، مداحا محسنا ، مجيدا مغلقا ، وهو أول من وسع البديع ، لأن بشار بن برد أول من جاء به ، ثم جاء مسلم فحشا به شعره ، ثم جاء أبو تمام فأفرط فيه وتجاوز المقدار » (٦٦)

وقال ان مسلم بن الوليد مدح الرشيد بلاميته التى أولها :

أديرا على الكأس لا تشربا قبلى ولا تطلبا من عند قاتلتى زملى

فلما بلغ قوله :

هل العيش الا أن تروح مع الصبا وتغدو صريع الكأس والأعين النجل

قال له : « أنت صريع الغوانى ، فسمى بذلك حتى صار لا يعرف الا به . وعلق عليها قائلا : « وهى مشهورة سائرة جيدة عجيبة » (٦٧)، واستحسن أبيتا منها ، واستدرك قائلا : « على أن شعره كله ديباج حسن لا يدفعه عن ذلك أحد » (٦٨) .

وتابع ابن المعتز حديثه عن شعراء البديع ، حتى وصل الى أبى تمام ، امام الصنعة البديعية فى عصره ، فقال عنه : « ولو استقصينا ذكر أوائل قصائده الجياد التى هى عيون شعره ، لشغلنا قطعة من كتابنا هذا بذلك ، وان لم نذكر منها الا مصراعا ، لأن الرجل كثير الشعر جدا ، ويقال ان له ستمائة قصيدة وثمانمائة مقطوعة ، وأكثر ما له جيد ، والردىء الذى له انما هو شىء يستغلق لفظه فقط ، فأما أن يكون فى شعره شىء يخلو من المعانى اللطيفة والمحاسن والبدع الكثيرة فلا . وقد انصف البحترى لما سئل عنه وعن نفسه ، فقال : جيدة خير من جيدى ، ورديى خير من رديه . وذلك أن البحترى لا يكاد يغلط لفظه ، انمـــا

---

(٦٦) راجع : المصادر السابق ص ٢٣٥ .
(٦٧) راجع : المصدر السابق .
(٦٨) راجع : المصدر السابق .

لفظه كالعسل حلاوة ، فأما أن يشق غبار الطائى فى الحذق بالمعـــانى والمحاسن فهيهات ، بل يغرق فى بحره ، على أن للبحترى المعـــانى الغزيرة ، ولكن أكثرها مأخوذ من أبى تمام ، ومسروق من شعره »(٦٩)

ونبه ابن المعتز على ما يستملح من شعر أبى تمام ، فقال : « ومما يستملح من شعره ـ وشعره كله حسن ـ داليته فى المأمون التى أولها : « كشف الغطاء فأوقدى أو أخمدى ... » وعلق عليها بقوله : « وهى أشهر من الفرس الأبلق » (٧٠) ، وذكر عددا من أوائل قصـــائده الجياد (٧١) .

تلك هى محاسن أشعار زعماء مدرسة البديع ، ومميزات أساليبهم التى تنفرد طرائقهم بها فى التعبير والتصوير ، وبها يفترق كل منهم عن غيره .

٣ ـ الشعراء المجان والموسوسون :

اهتم ابن المعتز بجماعة من الشعراء ، تحرج العلماء وبعض الأدباء من رواية أشعارهم ، وتدوين أخبارهم الا نادرا ، وعلل ذلك بقوله : « انما أحببنا أن لا نترك شيئا مما ذكره أحد مدح فى هذه الدولة خليفة ، وذكر فى الشعراء » (٧٢) . ولعله أراد بالحديث عنهم ، دفع ملل الناس فى عصره ـ وبعده ـ من رواية الجاد من الشعر ، ورغبتهم فى ظرف القول ، وتندر الكلام ، فأكثر من رواية أشعار المجان والموسوسين والشواذ من بنى البشر .

---

(٦٩) راجع : طبقات الشعراء ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ، عبد الله بن المعتز ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ١٩٨١ .

(٧٠) راجع : المصدر السابق ص ٢٨٤ .

(٧١) راجع : طبقات الشعراء ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ، عبد الله بن المعتز، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ١٩٨١ .

(٧٢) راجع : المصدر السابق ص ٣٤٤ .

ومما قاله ابن المعتز عن أبى فرعون الساسى أحد أصحاب هـــذا الاتجاه : « كان من أفصح الناس وأجودهم شعرا ، وأكثرهم نادرة ، ولكنه لا يصبر على الكدية » (٧٣) . وذكر ما يستملح له قوله :

رأيت فى النـوم بختى ... فى زى شيخ أرث (٧٤)
أعمى أصم ضئيـــلا ... أبـا بنـــين وبنت
فقـــلت : حييت رزقى ... فقـــال : رزقك ياستى
فـكيـف لى بـــداء ... يلين لى بطـــن بختى

ومن أخبار جعيفران - أو جعفر بن على بن أصغر - الموسوس المتوفى ٢٠٨ هـ ، أنه دخل على أبى دلف فأمر له بألف درهم وخلعة ، فقال جعيفران : أما الخلعة فآخذها ، وأما الدراهم فتأمر الحاجب أن يعطينى خسة دراهم كلما جيئت ، مخافة السرقة ، حتى يقطع بيننا وبينه الموت ، ونظر الى أحمد - بن ابراهيم القمى - فقال :

يموت هـذا الفتى تراه ... وكل شىء له نفـــاد
لو كان شىء له خلـــود ... خلد ذا المفضل الجـواد

قال : فأعجب أبو دلف بقوله ، وقال لأحمد بن يوسف : أنت كنت أعرف بصاحبك » (٧٥) . كما قال عنه وشعره : « هو والله ظريف حلو الشعر » (٧٦) .

وروى عن مانى - محمد بن القاسم - المتوفى ٢٤٥ هـ الذى عرف بجنونه فى عصره بعض الأخبار ، منها : « حدثنى أبو شجرة فقال . « كان مانى المجنون من أشعر الناس ، وهو القائل :

---

(٧٣) راجع : طبقات الشعراء ص ٣٧٥ - الكدية : الاستعطاء وحرفة السائل .

(٧٤) الأرث : من بلسانه رثة اى عجمة .

(٧٥) راجع : طبقات الشعراء ص ٣٨١ ، عبد الله بن المعتز ؛ تحقيق عبد الستار احمد فراج ؛ المعارف ١٩٨١ .

(٧٦) راجع : نفس المصدر .

نجل العيون قواصد النبل قتلنـــا بعيونهـــا النجـــل
كحل الجمال جفون أعينها تفتر عن كحـــل بلا كحـــل
وكأنهن اذا أردن خطـــا يقلعن أرجلهن من وحل (٧٧)

ووصف ابن المعتز أبا حيان الموسوس ، فقال : « كان أبو حيان موسوسا آخر عمره ، وكان يخلط فى الكلام ، ولا يخلط فى الشـــعر أصلا » (٧٨) . وذكر أن « له شعر كثير جيد » (٧٩) .

لم يتحرج ابن المعتز من رواية أخبار نفر من المجان والموسوسين ، وذكر أشعارهم لما تضمنته من محاسن ومزايا . وهو اتجاه ساد عصر ابن المعتز ، واهتم الناس فيه بالألوان الشاذة من الكـــلام ، والأنواع المنحرفة فى القول ، وتطور هذا الاتجاه فى القرن الرابع الهجرى ، لدى جماعة من شعراء بغداد ، منهم جحظة ـ أحمد بن جعفر ـ المتوفى ٣٢٣ هـ ، وأبو القاسم ـ نصر بن أحمد ـ الخبر أرزى المتوفى ٣٣٠ هـ ، وأبو عبد الله ـ الحسين بن أحمد ـ ابن الحجاج المتوفى ٣٨٠ هـ ، وغيرهم .

٣ ـ الشعراء الأعراب :

عنى ابن المعتز بنفر من الشعراء والمحدثين ، أثروا كلمات ندرة الاستعمال ، والتزموا بالغيب فى أشعارهم ، وهم أعراب فصحاء قدموا من « سر من رأى » . منهم ابن ميادة ـ الرماح بن زيد ـ المتوفى ١٤٩ هـ ، وهو من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، وعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثى المتوفى ١٩٠ هـ ، وأبو العباس ـ محمد بن يزيد ـ العمانى المتوفى ٢٢٨ هـ .

---

(٧٧) راجع : طبقات الشعراء ص ٣٨٣ ، عبد الله بن المعتز ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، المعارف ١٩٨١ .
(٧٨) راجع : المصدر السابق .
(٧٩) راجع : طبقات الشعراء ص ٣٨٧ ، عبد الله بن المعتز ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، المعارف ١٩٨١ .

وصف ابن المعتز شعر ابن ميادة ، فقل : « كان ابن ميادة جيد الغزل ، ونمطه نمط الأعراب الفصحاء ، وكان مطبوعا » (٨٠) . ومثل لهذا النمط بأبيات مطلعها :

كأن فؤادى فى يد علقت به محاذرة أن يقضب الحبل قاضبه

وعلق عليها قائلا : « فهذه معان وألفاظ ، يعجز عنها أكثر الشعراء فانه قد جمع الى اقتدار الأعراب وفصاحتهم ، محاسن المحـــــدثين وملحهم » (٨١) .

وقال عن الحارثى : « حدثنى أبو الأسود الشاعر قال : كان الحارث شاعرا مغلقا مفوها مقتدرا مطبوعا ، وكا لا يشبه بشعره المحـــدثين الحضريين ، وكان نمطه نمط الأعراب ، ولما قال قصيدته المعروفة انقاد الشعراء وأذعنوا . وهو أحد من نسخ شعره بماء الذهب ، والقصيدة التى ذكرناها هى هذه :

ها أنذا يا طالبى ساعى محتضر بزى إلى الداعى

وبعد ذكر أبياتها علق قائلا : « فاجتمعت الشعراء والأدباء ، على أن هذه الأبيات ليست من نمط عصره ، وان أحدا لا يطمع فى مثلها ، ولعمرى انه لكلام مع فصاحته وقوته يقدر من يسمعه أنه سيأتى بمثله ، فاذا رامه وجده أبعد من الثريا ، وكذلك الشعر المتناهى الذى ليس قبله فى الجودة غاية » (٨٢) .

---

(٨٠) راجع : طبقات الشعراء ص ١٠٨ ، عبد الله بن المعتز ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف ١٩٨١ .

(٨١) راجع : المصدر السابق .

(٨٢) راجع : طبقات الشعراء ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ ، عبد الله بن المعتز ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، المعارف ١٩٨١ .

وقال عن العمانى : « كان العمانى شاعرا قديما ، مغلقا مطبوعا مفيدا ، وكان جيد الرجز والقصيد ، غير أن الأغلب عليه الرجز ، وكان يصف الفرس فيجيد ويحسن ، ومن قوله فى ذلك :

كأن تحت البطن منه أكلبا بيضا صغارا ينتهشن القبقبا (٨٣)

وبذا كشف ابن المعتز النقاب عن نفر من الشعراء المحدثين ، جاروا الأعراب فى ايثار النادر ، وأضفوا عليه من محاسـنهم ونوادرهم ، وجمعوا مع قوة اشعارهم فصاحة وعذوبة ، فبلغوا بها الجلدة والافتتان ، وارتقوا فيها لمدارج الجمال ومنازل الكمال .

٤ ـ الشعراء المطبوعون :

سجل ابن المعتز اعجابه بشعر المحدثين عامة ، وجيده خاصة ، من أمثال السيد ـ اسماعيل بن محمد ـ الحميرى المتوفى ١٧٣ هـ ، وسلم ـ بن عمرو ـ الخاسر المتوفى ١٨٦ هـ ، وأبو العتاهية ـ اسماعيل بن القاسم بن سويد ـ المتوفى ٢١١ هـ وغيرهم . وقف أمام أبيات أو قصائد لهم ، ووصفها وصفا يكشف عن تأثره بجمالها ، وانفعاله بحسنها ، وسجل تقديره للشاعر وشعره .

وصف السيد الحميرى ، فقال : « كان شاعرا ظريفا ، حسن النمط مطبوعا جدا ، محكم الشعر مع ذلك ، وكان أحذق الناس بسـوق الأحاديث والأخبار والمناقب فى الشعر . لم يترك لعلى بن أبى طالب ـ

---

(٨٣) راجع : طبقات الشعراء ص ١١٠ ، عبد الله بن المعتز ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف ١٩٨١ .

رضى الله عنه ـ فضيلة معروفة الا نقلها الى الشعر » (٨٤) . وقال : « ومن جيد شعره قصيدته التى تسمى المذهبة ، وهى التى أولها :

أين التطـــرف بالولاء والهـــــوى
أالى الـــــكواذب من بروق الخـــلب
أالى أمية ؟ أم الى الشـــــيع التى
جاءت على الجمل الخدب الشوقب (٨٥)
تهـــــوى من البـــلد الحرام فنبهت
بعد الهـدو كلاب أهل الحوأب (٨٦)

وقال عن مسلم الخاسر : « كان من المطبوعين المجيدين ، وكان تلميذا لبشار بن برد الأعمى ، ولما قال بشار بيته هذا :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

أخذ سلم هذا المعنى ، وجاء فى أجود من ألفاظه وأفصح وأوجز ، فقـــــال :

من راقب الناس مات غما وفاز باللذات الجســـــــور

وقال بشار ـ حين قال بيته ذلك ـ : ما سبقنى أحد الى هذا المعنى ، ولا يأتى بمثله أحد ـ فلما قال سلم هذا البيت ، قال راوية بشار : صرت اليه فقلت : يا أبا معاذ : قد قال سلم بيتا أجود من بيتك الذى

---

(٨٤) راجع : طبقات الشعر ص ٣٢ ، عبد الله بن المعتز ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، المعارف ١٩٨١ .
(٨٥) الجمل الخدب ـ بالخاء المعجمة ـ الشديد الصلب الضخم . الشوقب : الطويل .
(٨٦) الحواب : ماء ـ أو بئر ـ من مياه العرب على طريق البصرة ، نزلته السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ فى وقعة الجمل .

كنت تعجب به . قال : وما هو ؟ . فأنشدته البيت ، فقال : أوخ ، ذهب والله بيتى ، لوددت أن ولاءه لغير أبى بكر الصديق فأقطعه وقومه بهجوى . وهذا مما يدل على أن بشارا كان صحيح الدين ، ثم نحاه نفسه ، حتى كلمه فيه بعض اخوانه فرده » (٨٧) .

وقال عن أبى العتاهية : « كان أبو العتاهية أحد المطبوعين ، وممن كاد يكون كلامه شعرا كله ، وغزله لين جدا مشكل لكلام الناس ، موافق لطباعهن » (٨٨) . وذكر أن مما سار له قوله :

بسطت كفى نحوكم سائلا ... ماذا تردون على السائل
ان لم تنيلوه فقولوا له ... قولا جميلا بدل النائل
أو كنتم العام على عسرة ... ويلى فمنوه الى قابل

وعلق قائلا : « ولهذا الشعر من قلوب النساء موقع الزلال البارد من الظمآن لرقته » (٨٩) . ووصف ابن المعتز أبا الخطاب البهدلى ، فقال : « فهذا ـ كما ترى ـ مقتدر على الكلام ، مجيد للوصف ، حسن الرصف ، قد جمع الى قوة الكلام محاسن المولدين ، ومعانى المتقدمين » (٩٠) ، وذكر مما استحسنه قوله فى الفضل بن يحيى بن خالد :

تشاغل الناس ببنيانهم ... والفضل فى بنا العلا جاهد
كل ذى الرأى وأهل النهى ... للفضل فى تدبيره حامد

---

(٨٧) راجع : طبقات الشعراء ص ١٠٠ ؛ عبد الله بن المعتز ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف ١٩٨١ .
(٨٨) راجع : المصدر السابق ص ٢٨٨ .
(٨٩) راجع : طبقات الشعراء ص ٢٣٠ ؛ عبد الله بن المعتز ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف ١٩٨١ .
(٩٠) راجع : المصدر السابق ص ١٣٤ .

وعلق قائلا : « وأشعار أبى الخطاب كثيرة جيدة » (٩١) .
واثنى ابن المعتز على ربيعة الرقى - شاعر غير مشهور - خلال سرد أخباره ، فقال عنه : « فأما شعره فى الغزل فانه يفضل على أشعار .. أهل زمانه جميعا ، وعلى كثير ممن قبله ، وما أجد أطبع ولا أصح نزلا من ربيعة ، وهو القائل :

أنا للرحمن عاصى لجنـــــونى برخاصى
ثم للنـــاس جميعا من أدان واقـــــاصى
ورخاص الكرخظبى لم انل منه افتراصى (٩٢)

وعلق على القصيدة فى نهايتها قائلا : « فهذا كما ترى أسلس من الماء ، وأحلى من الشهد » (٩٣) .

وحاول ابن المعتز فى نهـــاية حديثه عن الشعراء المطبوعين ، أن يوثق شعرهم من خطأ النسبة ، وينفى عنه ما علق به من خلط ، فعلق على أبيات والبة بن الحباب فى المجون التى منها :

قد قابلتنا الكئوس ودابرتنا النحـــوس
واليوم هرمز روز قد عظمتـــه المجوس
لمتخطه فىحساب وذاك مما تســـوس

قائلا : « وهذا الشعر مما ينحله العامة أبا نواس ، وذلك غلط ، لأن العامة الحمقى قد لهجت بأن تنسب كل شعر فى المجون الى أبى نواس ،

---

(٩١) راجع : طبقات الشعراء ص ١٣٥ ، عبد الله بن المعتز ، تحقيق : عبد الستار احمد فراج ، دار المعارف ١٩٨١ .
(٩٢) راجع : طبقات الشعراء ص ١٥٩ ، عبد الله بن المعتز ، تحقيق : عبد الستار احمد فراج ، المعارف ١٩٨١ .
(٩٣) راجع : المصدر السابق ص ١٦١ .

وكذلك تصنع فى أمر مجنون بنى عامر ، كل شعر فيه ذكر ليلى تنسبه الى المجنون » .

٥ ـ شعراء الحكمة :

اهتم ابن المعتز بعدد من الشعراء ، لهم نظرة خاصة فى الحياة ، وغلب عليهم شعر المثل والحكمة ، من أمثال سابق بن عبد الله البربرى المتوفى ١٠٠ هـ ، وصالح بن عبد القدوس المتوفى ١٦٧ هـ ، ومحمود الوراق المتوفى ٢٣١ هـ وغيرهم .

وروى ابن المعتز ما أعجب به من شعر صالح بن عبد القدوس ، لفصاحته وحسن بيانه وكثرة حكمه ، كقوله :

وان من أدبتـــه فى الصبا ... كالعود يسقى الماء فى غرسه
حتى تراه مورقا ناضـــرا ... من بعد ما أبصرت من يبسه
والشيخ لا يترك أخـــلاقه ... حتى يوارى فى ثرى رمسه
اذا أرعوى عـــاد الى جهله ... كذى الضنا عاد الى نكســـه

وقال عن محمود الوراق : « شعر محمود كثير ، وأكثره أمثـــال وحكم ومواعظ وأدب ، وليس يقصر بهذا الفن عن صالح بن عبد القدوس ، وسابق البربرى . ومن قوله :

يمثل ذو الحزم فى نفســه ... مصائبه قبـــل أن تنزلا
فان نزلت بغتة لم ترعـــه ... لما كان فى نفسه مثـــلا
رأى الهم يفضى الى آخـــر ... فصـــير آخـــره أولا
وذو الجهـــل يأمن ايامـــه ... وينسى مصارع من قد خـلا
فان بدهتـــه صروف الزمان ... ببعض مصـــائبه أعـولا
ولو قدم الحزم فى نفســـه ... لعلمه الصبر عند البلا (٩٤)

---

(٩٤) راجع : طبقات الشعراء ص ٣٦٧ ، عبد الله بن المعتز ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف ١٩٨١ .

وقد حفلت كتب الأدب فى القرنين الثالث والرابع الهجريين ، بأخبار شعراء الحكمة ، وبخاصة «البيان والتبيين» لأبى عثمان ـ عمرو بن بحر ـ الجاحظ المتوفى ٢٥٥ هـ ، و « الشعر والشعراء » لعبد الله بن مسلم المتوفى ٢٧٦ هـ ، و « عيار الشعر » لأبى الحسن ـ محمد بن أحمد بن طباطبا ـ المتوفى ٣٢٢ هـ ، وعنى بعضهم باتجاه ابن المعتز فى عنايته بالشعراء الذين انفردوا بنظرات خاصة فى الحياة .

٦ ـ النساء الشواعر :

ختم ابن المعتز كتابه بالحديث عن عدد من النساء الشواعر ، من أمثال عنان المتوفاة ٢٢٦ هـ جارية الناطفى ، وسكن المتوفاة ٢٣٠ هـ جارية محمود الوراق ، وغيرهما من النساء الشواعر . مثل عائشة العثمانية التى وصف بيانها بقوله : « كانت من أشعر الناس ، وأكثرهم بيانا ، وأفصحهم لهجة ولسانا ، مع ظرف ونوادر وملح ، وكانت مطبوعة مقتدرة ، تلعب بالشعر لعبا ، وتصوغ فيه ألحانا » (٩٥) .

ووصف خنساء جارية هشام المكفوفة بقوله : « جليلة نبيلة أديبة ، شاعرة حسنة التعقل ، فائقة الجمال ، من حواذق المغنيات المحسنات ، وقد نازعت الشعراء ومدحت الخلفاء » (٩٦) . وأشاد بعريب جارية المأمون فقال : « من أحسن النساء وجها ، وأفصحهن لسانا وأبلغهن بيانا ، وأصنعهن كفا ، وكانت شاعرة مفلقة مطبوعة » ، وروى بيتين لها :

من صاحب الدهر لم يحمد تصرفه ... غبا وللدهر احلاء وامرار
وكل شىء وان طالت اقامته ... اذا انتهى فله لابد اقصار (٩٧)

---

(٩٥) راجع : المصدر السابق ص ٤٢٤ .
(٩٦) راجع : طبقات الشعراء ص ٤٢٥ . عبد الله بن المعتز ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف ١٩٨١ .
(٩٧) راجع : المصدر السابق ص ٤٢٦ .

وتحدث عن فضل الشاعرة ، فقال : « كانت فضل الشاعرة فى نهاية الجمال والكمال ، والفصاحة واللسن وجودة الشعر ، ويجتمع عندها الأدباء ، ولها فى الخلفاء والملوك المدائح الكثيرة » (٩٨) .

وبذا وضع ابن المعتز شعراء عصره فى أطر ذات اتجاهات متماثلة فى صناعة الشعر ، ففى طبقة شعراء البديع ، نبه على أن ريادة بشار له وتوسع مسلم فيه ، وجاء أبو تمام فأفرط فى صناعته ، وأثر فى طبقة المجان نوادر من أشعارهم ، ليروح عن القارىء ، وعند حديثه عن المطبوعين اختار جياد قصائدهم ، ناهيك بنفر حسن بيانهم وكثرت الأمثال والحكم فى أشعارهم ، وببعض المغنيات من الشـــواعر ذات الفصاحة واللسن ، والظرف والألحان .

أثر طبقات الشعراء فى القول :

أدرك الجاهليون مواطن الحسن والقبح فى القول ، دون تسمية ما اهتدوا اليه من أحكام وفى صدر الاسلام وازن الناس بين ما صدر عن الشعراء الذين ناصروا الرسول - عليه السلام - وبين الشعراء الذين ناصروا المشركين ، وفى عهد بنى أمية نهض النقد بما أثاره الشعراء من مهاجاة ومناقضات ، أسفرت عن أحكام كثيرة على الشعر ، بجانب تعدد مراكز الشعر ، فى بلاد الحجاز ونجد شعراء غزالون ، وفى العراق شعراء هجاؤن ، وفى الشام شـــعراء مداحون ، ولكل أنصـــاره وخصومه .

وفى عهد بنى العباس ، مال الشعراء الى التجديد ، ولجأ بعضهم الى صناعة البديع ، واتجه الجميع الى التفتيش عما فى أشعار الأقدمين من أسرار الجمال ، ليجاروهم فى أشعارهم ، بعد وعيهم للعديد من آرائهم فى الشعر والشعراء ، واهتدوا الى كثير من أسباب الحسن والقبح فى الكلام .

---

(٩٨) راجع : طبقات الشعراء ص ٤٢٦ ؛ عبد الله بن المعتز ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ؛ دار المعارف ١٩٨١ .

وجاء محمد بن سلام الجمحى ١٣٩ ـ ٢٣٢ هـ ، فضمن كتابه « طبقات فحول الشعراء » . الآراء المبعثرة فى الشعر والشعراء ، منذ الجاهلية حتى ـ عهده ـ أوائل القرن الثالث الهجرى ، بعد أن ضم شتاتها وألف بين المتشابه منها . ومن ثم حفل بكل الأفكار التى صدرت عن مختلف الأذواق والعقول فى النقد .

أما عبد الله بن المعتز فقد عنى فى كتابه بنفر من الشعراء فى عصره وضمنه القصائد والمقطعات والأخبار التى انفرد الخاصة بمعرفتها ، وراح يتلمس مواطن الجمال فيها ، دون افراط فى اعجابه أو استهجانه ، فى عبارات تكشف عن انفعاله بجمال الشعر أو قبحه . وعلى الرغم من ترتيب الشعراء على غير منهج مرسوم ، فقد صنفهم جماعات ينتظمهم اتجاه متشابه ، ويجمعهم رباط فنى جامع ، حتى تتميز كل طبقة بطابع يغلب عليها . وراعى فى ترتيب شعراء كل طبقة ، كثرة الانتاج وجودة الأداء ، بجانب الثقافة الخاصة بالشاعر ، حتى تهيىء له الحكم على الشعر ، وتعينه على تمييز الجيد عن الردىء .

عند حديثه عن زعماء البديع ، جعل بشارا أستاذ المحدثين ، لدقة تشبيهاته من البصريات مع أنه أعمى ، واعتبر مسلم بن الوليد أول من وسع فى البديع ، ووصف شعره بأنه « ديباج حسن » ، وكشف عن افراط أبى تمام فى البديع ، وأشار الى ما يستملح من شعره . ونبه على روائع وبدائع الشعراء المطبوعين ، وما جمعوا فيه بين محاسن المولدين ومعانى المتقدمين ، وغيرهم من الشعراء الذين سلكوا مسالك أخرى ، وتميزوا بين معاصريهم بثروة أدبية جيدة .

وبذا سجل ابن المعتز فى كتابه المقاييس التى سادت عصره ، واستخلصت من الشعر القديم ، ومن رصانة الشعر المحدث ـ وهو من شعرائه ـ وقوته ، وساده أسلوب شائق ، وتخلله نقد وموازنة ، وابداء رأيه فى القصائد أو المقطعات ، حسب معايير نقدية مقبولة ، تعتمد على حسن الاختيار ، وجيد الانتقاد .

ورغم حرص ابن المعتز على تقسيم الشعراء المحدثين الى طبقات ، فلم يهمل الأحداث التاريخية ، لأنها مفاتيح القضايا المغلقة ، والأحداث العامة ، والقصائد الخاصة ، وعمد الى ذكر بعض المساجلات الشعرية لسابقيه ، بجانب طرف أدبية وملح اجتماعية ، دون الخروج عن الموضوع يقوده فى ذلك اغراء القارىء على متابعة القراءة ، وخلق عنصر التشويق والامتاع لديه .

ويلاحظ أن ابن المعتز لم يعن بسنوات وفاة شعرائه سوى القليل منهم ، حيث لم ير ضرورة للتأريخ لعدد من الشعراء ، فى فترة لا تتجاوز قرنا من الزمان ، ولكنه حصر اهتمامه بالفترة الزمنية التى برز الشاعر فيها ، لا التاريخ المحدد بسنة الميلاد والوفاة .

أثر جهود ابن المعتز فى الدراسات الأدبية :

أدت جهود ابن المعتز التى أودعها مؤلفاته ، البديع ورسالته فى شعر أبى تمام وطبقات الشعراء ، الى ارساء قواعد ثابتة لأسلوب العمل الأدبى ، وتحديد خصائصه ، وكان فى تقريره لها أكثر موضوعية ، حيث تجرد من الاعجاب المفرط عند تأمل النص الذى يتناوله ، فكشف عن احاطته بفنون القول ، ومعرفته بطرق أدائها ، مما يدل على طول باعه ، ورسوخ قدمه ، وعلو منزلته فى البيان العربى .

ففى كتاب البديع ، وجه مشكلة البديع التى آثر شعراء عصره - وقبل عصره - استعمالها ، الى بحث الأساليب التعبيرية ، موضحا أن البديع عرف قبل المحدثين ، وأنه اسم لفنون من الشعر يذكرها الشعراء النقاد ، فأكسب ظاهرة البديع - وهى قديمة - الوضوح والتجديد والتحديد .

ونجح ابن المعتز فى تحويل أصباغ البديع ، التى تطوف بخيال الشاعر وتجول فى خاطره ، الى قواعد مدعمة بأمثلة من التراث العربى بعد أن كانت مصطلحات البديع ، غائمة فى العقول ومضطربة فى

الأذهان ، وعرفها وأحسن تقسيمها ، والتمس شواهد لها من القرآن والحديث ، وشعر المتقدمين والمتأخرين ، وتجاوز ذلك الى ذكر المعيب من ألوان البديع « ليعرف فيجتنب » (٩٩) .

وبذا وضع ابن المعتز بين يدى المتأدبين ، بما يمدهم بمقومات الصنعة ، التى أتاحها الذوق العربى ، حتى يتجنبوا الوقوع فى مرذول الكلام ، وتهبط أشعارهم الى مهاوى الضعف والابتذال .

ومن ثم كان كتاب « البديع » فتحا جديدا فى مجال الدراسات الأدبية ، حيث مهد الطريق للعلماء الذين أعقبوا ابن المعتز ، الى الاهتمام بألوان البديع وتحديد مصطلحاته ، حتى انتهت لما يدرج تحت علم « البديغ » اليوم ، وبجانب هذا وضح حقيقة الخصومة بين القدماء والمحدثين ، وبدد ضباب المعركة بينهما ، وفصل القول فيها .

وكشف ابن المعتز عن محاسن ومساوىء شعر أبى تمام فى رسالة ، حيث لم يرتض طريقة أبى تمام فى صناعة البديع ، لأنه بعد فيها عن الصواب ، وجانب طريق السداد ، وأسرف فى اصباغ البديع ، ونراه يقول : « ثم ان حبيب بن أوس الطائى بعدهم - أى المحدثين - شغف به ، حتى غلب عليه وتفرغ فيه وأكثر منه ، فأحسن فى بعض ذلك وأساء فى بعض ، وتلك عقبى الافراط وثمرة الاسراف » (١٠٠) .

وتضمنت رسالة ابن المعتز ، نقد أبى تمام لوقوعه فى العيوب التالية : رداءة المعنى ، واخفاق المطابقة ، وسرقة المعنى ، واستعمال الغريب ، والاغراق فى المدح . وعلق بعبارات قاسية ، منها : « وهذا من الكلام الذى يستعاذ بالصمت من أمثاله » ، وقوله عن استعارة أبى تمام

---

(٩٩) راجع : البديع ص ٢٣ ، عبد الله بن المعتز ، تحقيق : كراتشوفسكى ، طبعة ١٩٣٥ .

(١٠٠) راجع : مقدمة البديع ص ١ .

« مشيب الفؤاد » : « فيا سبحان الله ما أقبح مشيب الفؤاد ، وما كان أجرأه على الأسماع فى هذا وأمثاله » (١٠١) .

كما عاب عليه استعمال غريب الألفاظ مثل : « الدفقى . القاصعاء . النافقاء » ، وعلق عليها قائلا : « انها من الغريب المصدود عنه ، وليس يحسن من المحدثين استعمالها ، لأنها لا تجاور بأمثالها ولا تتبع أشكالها فكأنها تشكو الغربة فى كلامهم » (١٠٢) .

وحدد ابن المعتز موقفه من سرقات أبى تمام ، فقال : « ولا يعذر الشاعر فى سرقته حتى يزيد فى اضاءة المعنى ، أو يأتى بأجزل الكلام الأول ، أو يسنح له بذلك معنى يفصح به ما تقدمه ولا يفتضح به ، وينظر الى ما قصده نظر مستغن عنه لا فقير اليه » (١٠٣) .

وخلاصة ما تضمنته رسالة ابن المعتز عن أبى تمام أنه « بلغ غايات الاساءة والاحسان ؛ (١٠٤) . وهذا ما يؤكد عن أن رسالة ابن المعتز فى شعر أبى تمام ، تمثل المرحلة الأولى من موقفه النقدى ، بدليل أنه غير رأيه فى أبى تمام بعض التغيير ـ فيما بعد ـ فى كتابه « طبقات الشعراء » حيث قال : « وأكثر ما له جيد والردىء الذى له انما هو شىء يستغلق لفظه فقط ، فأما أن يكون فى شعره شىء يخلو من المعانى اللطيفة والمحاسن والبدع الكبيرة فلا » (١٠٥) .

أما كتاب « طبقات الشعراء » ، فانه يمثل مرحلة تطور رأى ابن

---

(١٠١) راجع : الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء ص ٤٨٣ ، محمد بن عمران المرزبانى ، طبعة ١٩٦٥ .

(١٠٢) راجع : رسائل ابن المعتز ص ٢٣ ، جمع محمد عبد المنعم خفاجى ، طبعة الحلبى ١٣٦٥ هـ ـ ١٩٤٦ م .

(١٠٣) راجع : المصدر السابق ص ٢٤ .

(١٠٤) راجع : رسائل ابن المعتز ص ١٩ ، جمع محمد عبد المنعم خفاجى ، طبعة الحلبى ١٣٦٥ هـ ـ ١٩٤٦ م .

(١٠٥) راجع : طبقات الشعراء ص ٢٨٦ ، عبد الله بن المعتز ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، المعارف ١٩٨١ .

المعتز النقدى عامة ، وفى شعر أبى تمام خاصة . وقد حفل الكتاب بأحكام نقدية ، دار بعضها حول أوصاف الشعراء الذين ترجم لهم (١٠٦) . ودار بعضها حول القصيدة الواحدة ، مثل : « فهذه سارت مسيرة الشمس والريح » (١٠٧) وقوله : « أشهر من الشمس » (١٠٨) ، وقوله : « صارت مثلا سائرا فى الناس » (١٠٩) ، وقوله : « أشهر من الفرس الأبلق » (١١٠) . وغيرها كثير .

وعنى باقيها بالبيت المفرد ، مثل : « هذا البيت أقرت الشعراء قاطبة أن لا يكون وراءه حسن ولا جودة معنى » (١١١) . وقوله : « ذلك سجدة للشعراء » (١١٢) ، وغير ذلك مما يجده القارىء مثبوتا فى ثنايا كتاب طبقات الشعراء .

وبذا - وغيره - كان ابن المعتز ناقدا بصيرا ، تسود أكثر أحكامه الموضوعية ، رعى الحركة الأدبية فى عصره دون مجاملة ، لأنه صاحب مذهب عام تحول سماته دون انصاف خصومه ، فقد ترجم لشعراء هجوا أسرته كابن الرومى ، وآخرين مدحوا العلويين كالسيد الحميرى ودعبل. وبذا يمثل كتاب « طبقات الشعر » رأى ابن المعتز فى الشعر والشعراء فى حيدة وانصاف ، مما حقق له صفة الناقد العادل . وبالله التوفيق والهداية .

---

(١٠٦) راجع : المصدر السابق ، صفحات ٢٨ ، ١٤٠ ، ١٦٣ ، ٢٣٥ ، ٢٦٤ ، ٢٧٩ ، ٢٨٤ .

(١٠٧) راجع : طبقات الشعراء ص ١٧٨ ، عبد الله بن المعتز ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، المعارف ١٩٨١ .

(١٠٨) راجع : المصدر السابق ص ٢٦٨ .

(١٠٩) راجع : طبقات الشعراء ص ٢٢٥ ، عبد الله بن المعتز ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، المعارف ١٩٨١ .

(١١٠) راجع : المصدر السابق ص ٢٨٤ .

(١١١) راجع : طبقات الشعراء ص ٢٢٥ ، عبد الله بن المعتز ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، المعارف ١٩٨١ .

(١١٢) راجع : المصدر السابق ص ٢٨٠ .